

بربارة.. أسطورة القداسة

14 ديسمبر 2016

الأكثر قراءة

رأصد

الطابو الإسرائيلي
الجديد: نكبة صامئة
وتمهيد لمصادرة نحو
70% من أراضي
مناطق "ج"

1

تقارير

إبادة المستقبل.. كيف
تصنع "إسرائيل" جيلاً
مشوهاً في غزة؟

2

رأصد

فرض السيادة
الإسرائيلية على
المناطق "ب" في
الضفة: ملف صحراء
القدس

3



حمزة العقرباوي
باحث في التراث
الفلسطيني



تقارير

اغتصاب وتعذيب
جنسي.. محررو غزة
يروون لـ"الترا
فلسطين" فظائع
السجون

4

تقارير

الجبهة الديمقراطية
لـ"الترا فلسطين":
مصر عرضت على
الفصائل خطة من 5
بنود وهذه تفاصيلها

5



خلال الاحتفال السنوي بيوم القديسة بربارة، في قرية عابود (getty)

يُحتفلُ مشرقياً في تاريخ 17 كانون الأول، بحسب التقويم الشرقي بعيد القديسة بربارة، تلك التي يتنازع مشرقنا حول منبت حكايتها وموضع ميلادها وقصتها. فيقال إن حكاية بربارة وقعت في فلسطين في القرن الثالث الميلادي، وأنّ الفصول الأخيرة في حياتها كُتبت في قرية عابود شمال غرب رام الله، فيما يذهب آخرون للقول إن بربارة قديسة مصرية، وقيل لبنانية وتركية وقيل من مناطق آسيا الوسطى.

تختلف الحكايات على هوية القديسة بربرة، وتُجمع على خطوطٍ عامةٍ في قصتها، فيما تحدد الحكاية الفلسطينية مكان لجوئها واستشهادها

وعلى الأغلب، فإن قصة ميلاد وحياة القديسة بربرة هاجرت من موطنها الأصلي كما تُهاجر الحكايات والأساطير لتحل في أماكن جديدة، تاركةً للحيز الجديد الإضافة والتعديل عليها، لتتلاءم مع هذه البيئة الجديدة. ومن هنا تَزَعُمُ كُل مَنطَقَةٍ في مَشرقنا بأن بُربرة ابنة بيئتها ومكانها الجغرافي.

اقرأ/ي أيضًا: "أصداف" بيت لحم تتشَبَّث بالحياة

فَمَن هي القديسة بربرة؟ وما هي حكايتها؟ وأي أهمية تُشكلها بربرة في الموروث الشعبي الفلسطيني؟

فلسطينيًا، بُربرة ليست مُجرد عيد شعبي يَحْتَفَلُ به المسيحيون. فبربرة الفلسطينية مَعْلَمٌ أثري وكنيسة قَدِيمَةٌ جدًّا، وهي مِيقَاتُ فَلَاحِي لمواسم الزراعة، وهي كذلك أَكْلَةٌ شَعْبِيَّةٌ يَشْتَرِكُ في إعدادها وتناولها المُسلمون والمسيحيون، ولا تَغِيبُ بربرة عن الموروث الشَّفهي المُتداول في الحياة اليومية.

بربرة الشَّهيدة

تُجمع الرِّوايات التي تناولت سيرة بربرة وقصتها، على أَنَّها آمَنت بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ونبذت عبادة الأوثان، وفَرَّت من القصر الذي شَيَّده لها أبوها، مُوفِّرًا فيه الخَدم والحَشم وما لَدَّ وطاب. وَأَنَّها التَّجأت إلى تلة نائية، فاخترت في صَخرة شَقَّها الله لها فِرارًا من بَطْش أبوها وَغَضبه. وتذكُرُ المصادر أَنَّها حين وقعت في قبضة أبوها عَذَّبَها وسلمها للحاكم، فَحُبِسَتْ كَي تَرْجَعَ عن عبادة الله، لكنها أَبَت، ولقيت الله شَهِيدة.



لوحة تجسد القديسة بربارة في كنيسة داخل قرية عابود

وتنفرد الرواية الشعبية في قرية عابود بسرد تفاصيل الجغرافيا الواردة في الحكاية، كتحديد التلة التي فرّت إليها بربارة والواقعة غرب القرية، والصخرة التي انشقت واختبأت بها، وكذلك الموضع الذي حُبست وعُذبت وقُطع رأسها فيه، حيث تقوم كنيسة بربارة في قرية عابود حاليًا والمبنيّة من القرن السادس الميلادي.





وفي المنطقة التي تتشارك حكاية القديسة بربرة وتتنازع في نسبتها إليها،
توجد عدة كنائس تحمل اسمها، وتنسج حكايتها حولها بما يجعلها الأكثر

بربارة الأكلة الشعبية

ومن أشهر الأشياء ارتباطاً في المخيلة الشعبية حول بربارة، هو الأكلة التي تُقدّم في ذكرى مقتلها، وقد حملت هذه الأكلة اسم القديسة بربارة وصارت تُعرف بها.

والبربارة من **الأكلات الشعبية** التي تُقدّم في الأعياد والمناسبات الاحتفالية لدى فلاحي فلسطين، وتقوم بشكلٍ أساسي على مُكون القمح، ذلك أنّ القمح هو عمارة بيت الفلاح، وهو الأهم والأكثر وفرةً في السلة الغذائية. والفلسطينيون على اختلافهم يُعدّون هذا النوع من الطعام، ويوزعوه على الجيران والأقارب للمشاركة في الفرح، وذلك في عيد بربارة وعيد الست واحتفال تسنين الأطفال.

 تقديم أكلة البربارة، في عيد القديسة، خلال المهرجان السنوي في قرية عابود، غرب رام الله / تصوير: عباس مومني (getty)

أكلة البربارة في يوم القديسة، خلال المهرجان السنوي في قرية عابود، غرب رام الله / عباس مومني (getty)

وأصل هذه الأكلة قمحٌ مسلوق (سليقة) مُضاف إليه ما توفر في سلة الفلاح من مُكمّلات ومُجمّلات غذائية كالفسق واللوز والجوز والزبيب والقرفة وحبّ الرمان وجوز الهند والسكر وغيره. وفي الأصل كانت تُعد من القمح المسلوق مُضافاً إليه الفول والعدس والحمص، وهو ما يعرف حتى اليوم بـ (السليقة/السنينية) وهي الأكلة التي تُطبخ في عيد الست (عيد شعبي بمناسبة الانتهاء من صيام ستة أيام شوال)، وفي احتفال طلوع أسنان الأطفال (السنينية).

وهناك بعضُ الأهازيج المرتبطة بعيد بربارة حافظت على اسم الأكلة الشعبي المعروف لدى عموم فلاحي فلسطين:

طبخنا لك سليقة .. ليش ما جيتي أكلتي

ضوينا لك شمعة .. ليش ما جيتي تضويتي

ومن الصّور الجميلة لعيد بربارة، أنّ الأطفال يجوبون البيوت طلباً لحصّتهم من هذه الأكلة المُحلّاة وهم يُرددون: "يا معلّمتي حلّي الكيس.. الله يبعث لك عريس". ومن تُطعمهم تنالُ ثناءهم: "أرجيله على أرجيله.. صاحبة البيت

زَنكِيلَه (غنية)". أما من تَعْتَذِر بسبب نفاذ الكمية يُسْمَعُوها قَوْلهم: "ناره فوق ناره .. صاحبة البيت ختياره".

 موكب الأطفال يغير بعد عودتهم من دير القديسة بربرة، قرب قرية عابود، خلال الاحتفال السنويّ بالمهرجان/ عباس مومني (getty)
موكب الأطفال يغير بعد عودتهم من دير القديسة بربرة، قرب قرية عابود/ عباس مومني (getty)

بربرة في الموروث الشعبي

ويحفل الموروث الشعبي بالأقوال والأمثال التي تُجسّد مكانة الرموز والأساطير الدينية المهمة في حياة الناس، ومن ذلك ما نجده عن بربره القديسة من أهازيج وأمثال في الحياة اليومية:

بربرة تبربكتي .. عند الله تمخترتي

أبوكي هالكافر .. عبّاد الحجارة

جابه السيف يذبكي .. صار السيف صناره

جابه الحبل يشنقي .. صار الحبل زنّاره

جابه الجمر يحرقكي .. صار الجمر بخوره

وقولهم: "حَجّة بربرة.. القمح بالكواره.. والرمان بالداره.. زيتكم في بيتكم.. الله يكثر خيركم".

وَيُعتبر عيد بربرة كذلك ميقاتاً لفلاحي فلسطين، وفيه يتم تحديد بعض المواسم الزراعية ومواقيت فلاحه الأرض، وقد حَفِظت لنا الذاكرة الشعبية عشرات الأمثال عن عيد بربرة ودوره الميقاتي للفلاحين.

يقولون: "في عيد بربرة بتطلع المية من خزوق الفارة"، إشارة لكثرة المطر في حينه. "إن هَلّت بربرة البنّا يوخز زمّارة"، بسبب البرد الشّديد الذي يُرافق أمطار هذه الفترة.

نسفت قوات الاحتلال مغارة القديسة بربارة شمال غرب رام الله عام 2002 بدعوى أنها تُستخدم من قبل مقاومين

ويُقال أيضًا: "في عيد بربارة رُدّوا الشعير في جراره والقمح يا بذاره"، و"إن طلعت البربارة القمح يا بذاره". ذلك أنه مع حلول ميقات عيد بربارة تكون الأرض صارت باردةً فلا يصلح الشعير للبذار، فيما يكون الوقت والجو مناسبًا لزراعة القمح ولأجل ذلك يَتَنَادى الفلاحون "القح يا بذاره".

ويروى أيضًا أن عيد بربارة يتزامن مع تحرك الشمس من مدار الجدي شمالاً نحو خط الاستواء، ومن ثم نحو مدار السرطان ما يجعل النهار يَسْتَرِد بشكل بطيء جزءًا منه من الليل، وفي ذلك يُقال: "في عيد بربارة بوخذ النهار من الليل أخباره، و"في عيد برباره بطول النهار نطّة فارة".

هذه بربارة الفلسطينية بما تُمثله من عيد وطعام وموروث، ولا عَجَب في إقدام الاحتلال الإسرائيلي عام 2002 بِنَسف مغارة كنيسة بربارة في قرية عابود، بحُجّة أنها تُستخدم من قبل المقاومين.

اقرأ/ي أيضًا:

رحلة شتوية في تراث فلسطين

الختامة.. فرحة اندثرت في نابلس

"حق الوصاية": الأم خطر على ابنها!